

رحلة

في مستهل عام ١٩٥١ ، تلاقى جمع من أساتذة جامعة القاهرة وطلابها : يتحادثون في أمر عطلة نصف العام التي كانت تدنو إذ ذاك ، فاختار فريق أن يذهب إلى السودان لتتعرف إلى إخواننا أبناء الجنوب ، وآثر آخرون أن يحجوا إلى الحجاز معتمرين زائرين . وهي رحلة كانت جديدة بأن تسهوى كل المسلمين منا ، وتجذب إليها دارسى العربية وأدبها ، والإسلام وتاريخه ، لكن قيمة الاشتراك في الرحلة حددت بمبلغ خمسة وأربعين جنيهاً ، فحال هذا الرقم دون أكثر الراغبين : ولم يبق منهم سوى عشرة : اثنان من أسرة كلية الآداب ، وخمسة من الطب ، واثنان من كلية التجارة ، وواحد من كلية الزراعة .

وضع برنامج الرحلة مقتصراً في بادئ الأمر على الذهاب بالطائرة إلى «جدة» ، ومنها بالسيارة إلى «مكة» لقضاء سنة العُمرة ومشاهدة أرض المبعث ومهد الإسلام ، ثم الرجيل بالطائرة

إلى «المدينة المنورة» لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والطواف
بالمشاهد التاريخية الباقية في دار الهجرة .

* * *

غير أن لفئة كريمة من حضرة صاحب السمو الملكي
الأمير فيصل آل سعود - الذي كان يزور مصر آنذاك -
أفسحت الأفق المحدود أمام أعضاء البعثة ، ووعدهم بجولة
واسعة المدى ، يبالغون فيها نجدًا والديهان ، ويصلون إلى شرق
الجزيرة حتى الأحساء ومنطقة البحرين^(١) .

تشرف ثلاثة من أعضاء البعثة - السادة الأساتذة :
أمين الخولي ، والدكتور عبد السلام العبادي ، والدكتور
محمود المنجوري - بمقابلة سمو الأمير الجليل ، جناحه الخاص
بفندق سميراميس ، قبل موعد السفر بأيام ثلاثة . ففضل
سموه وشمل البعثة برعايته السادية ، وأوفد السيد الأستاذ فؤاد
شاكر لتوديعنا بمطار القاهرة ، صباح الأحد ، الرابع من
فبراير ١٩٥١ .

وأقattنا طائرة سعودية من طراز داكوتا ، إلى الأرض المباركة ،

(١) لمعرفة هذه الأماكن وغيرها من أعلام البلدان في الكتاب

راجع المصور الجغرافي ، في الصفحة الأخيرة .

عبر الصحراء الشرقية وقناة السويس وشبه جزيرة سيناء . فلما
بلغنا مطار «المدينة المنورة» ، أُذِنَ لنا في استراحة قصيرة ربّما
ارتدى الأعضاء لباس الإحرام . وتوجهنا من بعد ذلك إلى
«جدة» فما كدنا نزل من الطائرة حتى رأينا حشداً كريماً في
استقبالنا ، فيه مندوب حضرة صاحب السمو الملكي الأمير
عبد الله الفيصل ، والسيد الأستاذ حسن شعيب القائم بأعمال
المفوضية المصرية بجدة . ومندوب عن وزارة الخارجية ، وآخر
عن المعارف ، وثالث عن محطة الإذاعة اللاسلكية ، وعدد
من مندوبي الصحف .

وكانت مفاجأة سارة لنا . أن أبلغنا ساعة وصولنا ، أننا
ضيوف حضرة صاحب الجلالة عاهل الجزيرة ، ما أقمنا بها .
وفي الفندق تناولنا خدائنا واسترحنا قليلاً ، ثم استقبلنا
وفود المرحبين من أهل جدة الكرام .

ولما حان الأصيل ، سعينا إلى «مكة المكرمة» محرمين هاتفين
مابين ، حيث صايننا العشاء في المسجد الحرام وأتممنا الطواف
والمسعى . ثم أويينا بعد العمرة إلى دار الضيافة ، حيث
تتابعت وفود العلماء والشعراء لتحيّتنا والترحيب بنا .

وزرنا في الصباح معالم المدينة ، ثم رجعنا إلى جدة فتناولنا

غذاعنا في القصر الملكي بدعوة من « سمو الأمير عبد الله الفيصل » .
وتفضل سموه الملكي فتحدث إلينا طويلا عن مصر العزيزة ،
وعن العرب والإسلام ، حديث أمير عربي ، واسع الأفق
بعيد الآمال . ثم التفت سموه إلى ، يسألني عن الاتجاهات
الأدبية الحديثة ، وعن الحركة النسوية في مصر اليوم .

وقال سموه مودعاً : « أنتم في داركم وبين أهليكم ، لن
نقيدكم ببرنامج للرحلة أو نتحكم في خط سيركم . لكم أن
تعربوا عن رغباتكم ، وعلينا التنفيذ . . . » .

وبهذا النطق الكريم . أزيات الحدود التي كانت تقيد
مسيرنا ، فلا تأذن لنا بتجاوز منقطة « جدة - مكة -
المدينة » ، ورنونا إلى بعيد . . .

وفي دار « السيد الشيخ محمد سرور الصبان » رسمنا
برنامج رحلتنا في حرية واغتيباط : نمضي إلى « الظهران » ، ومنها
إلى « القطيف فالبحرين » ، ثم نخرج على « الرياض » في طريقنا
إلى « المدينة المنورة » .

• • •

وكانت رحلتنا إلى « الظهران » حافلة مثيرة ، حيث
أمضينا هناك سبعة أيام ، نجول في المنطقة ، ونسمع قصة

الزيت ، يرافقتنا في جولتنا السيدان « الشيخ عيد الرحمن الشيباني ، سكرتير سمو أمير الظهران ، وعبد الله القرشي مدير الشرطة » .

وتصادف أن كان قائد قوات الشرق الأوسط يزور ميناء « راس تنورة » في جولة له بالخليج الفارسي ، فدعانا مع الأمير تركي - أمير راس تنورة - لتناول الشاي على البارجة الأمريكية « دو كسبري باي »

وأضينا يوماً بأكمله في جولة بحرية بالخليج العربي على ظهر زورق بخاري أعدته لنا إمارة « الدمام » وزودته بالطعام وكل وسائل الراحة .

وقبيل رحيلنا عن « الظهران » ، أقام لنا « السيد الشيخ عبد الله السليمان : وزير المالية » وليمة غداء في بستانه الشهير بالدمام ، ثم تناولنا العشاء في دار الإمارة مع حضرة « صاحب السمو الأمير عبد المحسن بن جلاوي » وشهدنا في المساء حفلة سمر بدار السيد مدير مطار الظهران .

وتنضات سمو الأميرة الكريمة حرم حضرة صاحب السمو الأمير عبد المحسن ، فاستقبلتني في دارها ، وقدمت لي هدية غالية « تذكراً لهذه الزيارة الأولى ، ورمزاً لما بين مصر

والجزيرة من ود متبادل ، وارتباط وثيق .

وقد وصلنا في طوافنا إلى «القطيف» على ساحل الخليج الفارسي فرحب بنا علماءها وأعيانها ، واحتفلوا احتفالا مؤثراً بأول بعثة مصرية تصل إلى تلك المدينة التاريخية النائية .

وتوجهنا بعد ذلك إلى «الرياض» حيث تشرف الأعضاء بمقابلة حضرة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ، وقد تلقاهم جلالته مرحباً «بأبناء مصر العزيزة والوادي الطيب» وتحدث إليهم عن قضايا الإسلام والعرب حديثاً مشيراً ومؤثراً .

وخصني جلالته بعطف سابغ فأصدر أمره الكريم بأن ألقب «بأميرة الصحراء» .

وتناولنا طعام الغداء في قصر الضيافة مع رجال القصر الملكي .

ونقلتنا الطائرة إلى جدة فالمدينة ، حيث لبثنا هناك ثلاثة أيام ، نطوف بالمشاهد المجيدة، ونقف بالآثار الباقية من تاريخ أبطال الإسلام الأولين .

ثم عدنا من بعد ذلك إلى مصر . . .

• • •

عدنا نحمل أطيب ذكرى لأكرم ضيافة وأطيب راحة .
ومضت الأيام ومشاهد الجزيرة العربية تراءى لي من بعيد ،
فأسترجع الذكريات المثيرة لرحلاتي إلى موطن العربية ومهد
الإسلام .

وتناولت قاسي لأتحدث إلى قومي عن « أرض المعجزات » ،
هذه التي قدر لها منذ نحو أربعة عشر قرناً ، أن تغير
بالإسلام تاريخ العالم ، وتقرر مصائر دول وشعوب ، وعروش
وتيجان ، وحضارات وديانات .

واليوم يكتب لها أن تدفع سيل الزيت دافقاً كالدم الحار
في شرايين الدنيا ، فتشارك في تقرير المصير لعالم اليوم . . .

بنت الشاطئ

هليوبوليس : أول مايو ١٩٥١